بقي العرب حتى عام ١٩٣٢ في مركز الاكثرية . كما اننا نلاحظ انخفاضا في هجرة اليهود في نهاية العشرينات « ليصبح صافي المتدفق منها بضعة الاف من المهاجرين في السنة » . بمعنى اخر ان الحركة الصهيونية بالرغم من الدعاية الهائلة والعمل الجاد المتواصل قد فشلت في العقد الاول من الانتداب في اجتذاب اليهود الاوربيين الى الهجرة الى فلسطين . الا أن ظهور الفاشية في اوروبا واستيلاء هتلر على الحكم في المانيا قد غير من الوضع . « لو أن السياسة الالمانية سارت في طريق آخر عند مطلع الثلاثينات ، لما كانت هناك على الارجح ، « مشكلة فلسطينية » ، في الاربعينات ، ولا نزاع عربي ــ اسرائيلي اليوم ». فسياسة هتلر اللاسامية قد لعبت في أيدي القادة الصهاينة وجاءت لمصلحتهم اذ زاد تدفق اليهود الى فلسطين بعد عام ١٩٣٣ ، مع هذا فان ارتفاع عدد المهاجرين لم يستطع تغيير ديموغرافية البلاد بشكل راديكالي . ذلك ان اليهود بقوا أقلية بالمقارنة مع سكان فلسطين العرب ، كما جاء في تقديرات حكومة الانتداب في نهاية عام ١٩٤٦ اذ كان اليهود يؤلفون ٣١ ٪ من مجموع السكان .

ترى المؤلفة بحق ان الذي ساعد فعلا على تحويل فلسطين الى بلد يهودي هو قرار الامم المتحدة حول تقسيم البلاد في عام ١٩٤٧ الذي أقر بشرعية دولة يهودية في قسم من البلاد يؤلف العرب فيه الاكثرية المطلقة . « .. لو احترم مشروع التقسيم حكم الاكثرية او لو جرى اخضاعه لاستفتاء ، فان دولة اسرائيل الوليدة لم يكن لها ما يبررها » . ان تشريد اكثرية السكان العرب جاء نتيجة للاحتلال الاسرائيلي وقد جاءت اتفاقية الهدنة (١٩٤٩) لتعترف بسيطرة اسرائيل « كأمر واقع على المناطق التي احتلتها حتى تاريخه ، وبذلك تكون اسرائيل قد انجزت في مدة تتجاوز العام بقليل ما فشلت عقود من الهجرة فشلا ذريعا في تحقيقه ، اي في احداث تحول ديموغرافي كامل ضمن حصة « الاسد في فلسطين » .

ولكن المؤلفة تصل في نهاية هذه الدراسة الجادة الى نتيجة هامة ، وهي انه بالرغم من قيام اسرائيل وغزوها وتوسعها بقي الفلسطينيون ــ حتى بعد حزيران ١٩٦٧ ــ محافظين على عددهم بالنسبة لعدد المستوطنين اليهود . ولكنها تحذر في نفس الوقت بأن دولة الاحتلال التوسعية الواعية لعنصريتها والحريصة على بقائها « يهودية بمقدار ما هي انجلترا انجليزية » ستسعى بجهد لتشريد البقية الباقية من عرب فلسطين الذين ما زالوا يقاومون هذا التشريد .

مقالة اخرى جادة ضمها هذا الكتاب هي مقالة ارسكين ب. تشيلدرز ، من اكثر الكتاب الغربيين موضوعية وتفهما للمأساة الفلسطينية . وهو باعتقادي من الكتاب الغربيين القلائل الذين فضحوا الحركة الصهيونية كحركة استيطانية وربطوا بينها وبين حركة الاستيطان الاوربية في افريقيا . وأهمية مقالته تكمن في الوثائق الاصيلة والموثوقة التي خطها قادة ومثقفون صهيونيون حول ما كانوا يخططون له في فلسطين . فهذا هرتزل على سبيل المثال يكتب في مذكراته الشخصية التي بقيت قيد الكتمان ان على المستوطنين اليهود ان ينزعوا ملكية العرب الخاصة . بل يذهب الى ما هو أبعد من ذلك : « سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين مجالات الاستخدام لهم في بلدان العبور ، على ان نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا . « العمليتان » عملية نزع الملكية وعملية ابعاد الفقراء ، يجب تنفيذهما **بحذر واحتراس وتكتم** »* .

وقد علل هرتزل أهمية هذا التكتيك (التنفيذ بحذر واحتراس وتكتم) على الوجه التالي : « في السياسة لا ينبغي الافشاء بكل شيء امام عامة الناس ، بل باعلان النتائج فقط ، وما من شأنه الفائدة في الجدل » لذلك كان هرتزل منسجما مع نفسه حين كتب ، بعد كل ما كتب حول نزع الملكية من العرب ، وطردهم ، الى الزعيم المقدسي يوسف ضياء الخالدي مبشرا بأن هجرة اليهود الى فلسطين ستزيد في رخاء سكانها العرب وثروتهم الفردية !

مات تيودور هرتزل عام ١٩٠٤ ولكن توصياته تبنيت ووضعت موضع التنفيذ من قبل اتباعه ، كما يظهر ذلك بوضوح في مقالة الاستاذ آلان ن. تايلور « الرؤيا والقصد في الفكر الصهيوني » . يعالج تايلور في مقالته « التصريح والتصميم » في العمل الصهيوني ، ويصل الى النتيجة بأن الصهيونية تساير في اللفظ الرأي العام العالمي ، بينما « اختلف الامر في اغلب الاحيان بالنسبة للتصميم».

---

* التشديد من كاتب المراجعة .